

الشهادة في رحاب القرآن و الحديث

<"xml encoding="UTF-8?>



٦٠ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾

انطلاقاً من الآية المباركة:

المحور الأول: الشهادة بالمنظور القرآني

هناك عدة آيات تعرضت لعنوان الشهيد والشهداء في القرآن الكريم، وربما يتصور أن الشهيد له معانٍ عديدة في القرآن الكريم.

المعنى الأول: أن المراد بالشهيد هو الحاضر

كما في قوله عز وجل: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمُؤْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ...﴾ ٢، فالشهداء هنا بمعنى الحضور، أي: «هل كنتم حاضرين عندما قال يعقوب لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟».

المعنى الثاني: المقصود بالشهادة الحجية

كما في قوله عز وجل: ﴿وَكَذِلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾ ٣، أي أن الله اختار لكم موقعاً تكونون فيه حجةً على جميع الأمم، ويكون الرسول صلى الله عليه وآلله حجةً عليكم، فالآمة الإسلامية بما تملك من مقومات ومواصفات حجةً على جميع الأمم، أمّةٌ يقتدى بها، أمّةٌ يتحذى بها، كما في قوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرًا أُمَّةً أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوُنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾ ٤، والرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآلله حجةً عليكم، مقتدى لكم، قدوة لكم.

المعنى الثالث: الشهادة بمعنى الرقابة والإشراف

كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ ...﴾ ٥، بمعنى أن دوركم دور الرقابة على أنفسكم، على أمتك، من حيث رقابة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾ ٦.

المعنى الرابع: الشهادة بمعنى أداء ما تحمّل

إذا الإنسان رأى واقعة معينة، وأراد أن يؤدي الواقعية كما رآها، فإن هذا الأداء يسمى شهادةً، كما في قوله عز وجل: ﴿... وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ...﴾ ٧، ويقول في آية أخرى: ﴿... فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلُينَ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِنْ تَرْضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتَنَذَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ...﴾ ٧.

فيقال: الشهادة لها معانٍ في القرآن الكريم، ولم ترد بمعنى واحد، ولكن عند التأمل والتدبر نجد أن الشهادة معناها واحد، الشهادة بمعنى الحضور والوجودان، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ...﴾ ٨، يعني يحضروا، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلَيَصُمِّمْهُ ...﴾ ٩، يعني من حضر، رأى الهلال وهو حاضر، ليس مسافراً، الشهادة والشهود بمعنى الحضور، ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ...﴾ ١٠، العالم الحاضر يسمى شهادة، العالم الذي ليس حاضراً أمامنا يسمى غياباً، فالشهادة بمعنى الحضور.

معنى الشهادة واحد لا يختلف، إلا أن مصاديق الحضور تختلف، الحضور له مصاديق متعددة، له درجات متعددة، له أمثلة متعددة، وإلا الشهادة معناها واحد وهو الحضور، هناك حضور حسي عبر عنه القرآن بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتِ ...﴾ ٢ شهداء بمعنى الحضور الحسي.

وقد يكون الحضور حضوراً معنوياً، حضوراً ملوكياً، كما في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ...﴾ ٣، الشهادة هنا بمعنى الحضور، لكن الحضور ليس حضوراً حسياً، وإنما هو حضور معنوي، أي أن الأمة الإسلامية إذا التزمت بالإسلام وطبقت مبادئ الإسلام كان لها حضور معنوي جذاب بين الأمم، وهذا الحضور المعنوي الجذاب عبر عنه القرآن بالشهادة.

وقد يكون الحضور حضوراً ذكرياً علمياً، كما في الشاهد الذي يشهد واقعة معينة، ثم يتحملها في عقله، ثم يدللي بها أمام القضاء، فإن الشهادة هنا بمعنى الحضور، إلا أن الحضور هنا حضور ذهني، حضور علمي، الشهادة بمعنى واحد وهو الحضور، مصاديق الحضور، أمثلة الحضور، تجليات الحضور، تختلف من مقام إلى آخر، ومن موقع إلى آخر.

إذا جئنا لقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ١١، ما معنى الشهداء هنا في هذه الآية المباركة؟ كيف نفهم الحضور في هذه الآية المباركة؟ لاحظوا هذه الآية المباركة، هذه الآية المباركة تقول: من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، ليس منهم، معهم وليس منهم، المطيع ليس من الشهداء، المطيع ليس من الأنبياء، المطيع معهم لا أنهم منهم، أي أن الله يوم القيمة يعطيه مقاماً مع الأنبياء والشهداء والصديقين، ولذلك قالت الآية في آخرها: ﴿... وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ١١، هو ليس منهم، وإنما هو رفيق لهم، المطيع لله ولرسوله رفيقٌ مع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وليس منهم.

من هم هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، انظر إلى سورة الفاتحة التي نقرؤها: ﴿اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِحِينَ﴾ ١٢، هؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم أصحاب الصراط المستقيم، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، والذين أنعم الله عليهم هم أصحاب الصراط المستقيم، أنعم الله بأثمن نعمة ألا وهي نعمة الاستقامة، من حظي بنعمة الاستفامة فقد حظي بأفضل نعمة، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا اُمِرْتَ ...﴾ ١٣، ﴿... فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ...﴾ ١١ أنعم الله عليهم بأن جعلهم أصحاب الصراط المستقيم.

وأصحاب الصراط المستقيم يختلفون عن المطيع، المطيع لله ولرسوله استقامته اكتسابية عرضية، أما أصحاب الصراط المستقيم فاستقامتهم ذاتية طبيعية، أي أن هؤلاء الصفة هم ذو استقامة بجبلتهم، بطبعهم، بفطرتهم، هم منبع الاستقامة، وإليهم ترجع الاستقامة، لأن استقامتهم متکلفة، لأن استقامتهم مكتسبة، نحن استقامتنا متکلفة، استقامتنا مكتسبة، أما أصحاب الصراط المستقيم فاستقامتهم ذاتية جبلية فطرية لهم، كما قال تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَّعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهَدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٤، هناك من له هداية جبلية، وهو المستقيم بطبعه، وهناك من هدايته مكتسبة.

إذن، أصحاب الصراط المستقيم هم الذين أنعم الله عليهم، ثم عددهم: النبيون الذين أوحى إليهم، ﴿... مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ ...﴾ ١١، الصديق هو الوصي، الأنبياء فالوصياء، الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام هو الصديق، الصديق هو منبع الصدق، أي أنه المقاييس في الصدق، أنا مثلاً يقال لي صادق إذا صدقت في قولي وعملي، أما الصديق فهو الميزان في الصدق، إذا أردنا أن نقيس شخصاً هل هو صادق أم لا نعرض أعماله على الصديق، فالصديق هو الميزان، هو المقاييس في الصدق، غيره يقاس عليه، وهو لا يقاس على غيره، ولذلك ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: "علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيثما دار"، هو الميزان، غيره يقاس عليه، هو لا يقاس على أحد.

﴿... وَالشُّهَدَاءِ ...﴾ ١١، من هم الشهداء؟ ليس المقصود بالشهداء من قتلوا في سبيل الله، بل المقصود بالشهداء من لهم مقام الشهادة على أعمال الخلائق، هناك قسم من الناس لهم مقام الشهادة على أعمال الخلائق، يرقبون أعمال الخلائق، ينظرون أعمال الخلائق، يراقبون أعمال الخلائق، قالت عنهم الآية المباركة: ﴿... إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيَيْنَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَسْهُدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾ ١٥، المقربون هم الشهداء، لأنهم هم الذين يشهدون كتاب الأعمال، كتاب أعمال الخلائق كلهم، وقال في آية أخرى: ﴿... وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾ ١٦، فالمؤمنون الذين يرون الأعمال رؤياً ملوكيةً حقيقةً هم الشهداء في هذه

﴿... وَالصَّالِحِينَ ...﴾ 11، الصالحون من أعطوا الصلاح بفطرتهم وجبلتهم، "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"، ﴿... وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ 11، هؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم، أصحاب الاستقامة الفطرية، وقد ورد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: "النبيون: محمد، والصدّيقون: علي، والشهداء: حمزة وجعفر «رضوان الله تعالى عليهمما» والحسن والحسين، والصالحون: الأئمة الطاهرون من ذرية الحسين عليه السلام"، وهذا ما يعبر عنه بالتفسير المصداقى، يعني تفسير الآية بمصاديق حية واضحة.

المحور الثاني: الشهادة بحسب المنظور الروائي المقصومي

ما هو عنوان ومفهوم الشهيد في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام؟ الشهيد في القرآن معناه الحاضر، والحضور له درجات ومصاديق، لكن ما معنى الشهيد في الروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام؟ الشهيد في الروايات من عرجت روحه وهو في سبيل الله، ومن عرجت روحه وهو في سبيل الله على درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: أن يقتل بين الصفين

إذا قتل والمعركة قائمة، إذا لم يدركه المسلمون، جاؤوا إليه وقد فاضت روحه، لم يبق به رقم، من قُتُل في المعركة أثناء قتال الكفار المحاربين، أو أثناء قتال البغاء من المسلمين، من يُقتل في المعركة مع الكفار المحاربين أو مع البغاء من المسلمين فهو قد حصل على الدرجة الأولى من الشهادة، وهي أن قُتُل بين الصفين، قُتيل والمعركة قائمة، هذا الشخص له خصوصيات، أنه لا يغسل، ويكتفى بثيابه وهي مضمضة بالدماء، ويصلى عليه.

وفي هذا قد وردت روايات شريفة عن الأئمة الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فعندما نقرأ هذه الرواية: معتبرة أبي مريم الأنباري، الحديث الأول، باب 14 من أبواب غسل الميت، قال: "الشهيد إذا كان به رقم"، هو شهيد، إذا أدرك وبه رقم يغسل، متى لا يغسل؟ إذا لم يبق له رقم، "الشهيد إذا كان به رقم غسل وكفن وحنط وصلّى عليه، وإن لم يكن به رقم كفن في أثوابه".

الحديث الثاني: رواية أبي خالد الكابلي عن الصادق عليه السلام قال: "اغسل كل الموتى" أي ميت لا بد من غسله، الغريق يغسل، أكيل السابع - من افترسته السابع - أيًضا يغسل، " وكل شيء" يعني كل ميت يغسل، "إلا ما قُتُل بين الصفين" هذا له خصوصية، "فإن كان به رقم" أدركوه وهو ما زال حيًّا ثم مات، هذا أيًضا يغسل، الذي لا يغسل خصوص من فاضت روحه وهو في لب المعركة.

وأيضاً موثقة عمار: إن علياً عليه السلام لم يغسل عمار بن ياسر، عمار وما أدرك ما عمار! تقتله الفئة الbagia، كما يفعلون الآن من قلب المفاهيم، منذ ذلك الوقت، السياسة الأممية معروفة، منذ ذلك الوقت كان يقلبون المفاهيم، عمار خرج مع علي عليه السلام، من قتله؟ قتله جيش معاوية، ماذا قال جيش معاوية؟ قتله من أخرجه! هم الذين قتلواه، لكنهم لا يعترفون بالجريمة، بل قالوا: قتله من أخرجه! الإمام علي هو الذي أخرجه معه، إذن هو الذي قتله!! أما الذين ارتكبوا الجريمة وقاموا بتصفيته فليسوا قتلة، القتلة هم أولئك! قتله من أخرجه نفس السياسة، نفس المنهج. "إن علياً عليه السلام لم يغسل عمار بن ياسر، ولا هاشم بن عتبة، وهو المرقال، ودفنهم في ثيابهما".

من الروايات الشريفة: معتبرة زارة، الحديث الثامن، قال: قلت له: كيفرأيت الشهيد يدفن بدمائه؟ قال: "نعم، في ثيابه بدمائه، ولا يحيط، ولا يغسل، ويُدفن كما هو، دفن رسول الله صلى الله عليه وآلله عمه حمزة في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها، وردّاه النبي صلى الله عليه وآلله برداء فقصر عن رجليه «حمزة كان طويلاً القامة، بنو هاشم كانوا معروفيين بطول القامة»، فدعا له بإذن فطرحه عليه «كمّل التّوب بإذن الله، وصلّى الله عليه سبعين صلاة، وكبّر عليه سبعين تكبيرة»، سيد الشهداء حمزة عليه السلام.

الدرجة الثانية: أن يُقتل في سبيل الله لكن ليس في المعركة

الإمام علي عليه السلام قُتِلَ في سبيل الله لكن لا في المعركة، كل مؤمنٍ يُقتل وهو في سبيل الله، يُقتل في المسجد، يُقتل في الشارع، يُقتل في أي مكان آخر، صحيح ليس كالدرجة الأولى من الشهادة، الدرجة الأولى من الشهادة أن يُقتل بين الصفين، هذا له خصوصية خاصة، أنه لا يغسل، ولكن من يُقتل في سبيل الله وإن لم يكن في المعركة فهو شهيد، وقد عبرت عنه الروايات الشريفة بالشهادة، هذا يغسل، يكفن، إلا أنه شهيد، يشمله ثواب الشهداء، ومنزلة الشهداء.

الدرجة الثالثة: أن يموت - ليس من اللازم أن يُقتل - في سبيل الله

هنا نقرأ روایتين: الأولى: عن النبي محمد صلى الله عليه وآلله ذكرتها كتب الشيعة والسنّة معاً، ذكرها الزمخشري في تفسيره الكشاف عن النبي صلى الله عليه وآلله: "من مات على حب آل محمد مات شهيداً، من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل بالإيمان، من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له".

وهناك رواية أخرى: يذكرها الشيخ المجلسي في البخار عن الباقر عليه السلام سأله جابر بن عبد الله الأنباري عن هذه الآية المباركة: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ... ﴾ 17، قال: يا جابر، أتدرى ما سبيل؟ قال: الله ورسوله أعلم، أعلمني. قال: سبيل الله عليٌّ وذراته، ثم قال عليه السلام: "من قُتِلَ في سبيل ولايتنا فقد قُتِلَ في سبيل الله، ومن مات في سبيل ولايتنا فقد مات في سبيل الله". من أُسْتَهْدِف لأنَّه من شيعتنا، من أُسْتَهْدِف لأنَّه على

ولايتنَا، مَنْ أُسْتَهْدِفُ لَأَنَّهُ عَلَى نَهْجَنَا، مَنْ أُسْتَهْدِفُ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَهُوَ شَهِيدٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ ماتَ غَيْرَ مَقْتُولٍ فَقَدْ ماتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعمّ وطننا بالأمن والأمان، وأن يحفظ أبناءه جميعاً شيعةً وسنةً في أمنٍ وكرامةٍ، في أمنٍ على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكراماتهم، وأن يشعروا بحربيتهم في عقائدهم وشعائرهم وسائر طقوسهم، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يشفى المرضى، وأن يفك الأسرى، وأن يرجعهم إلى أهاليهم سالمين غانمين، بمحمد وآلـ الطيبين الطاهرين، وأن يمنّ على جرحـ أهـلـناـ فيـ الـقـدـيـحـ بالـشـفـاءـ والـعـافـيـةـ والـصـحـةـ، وأن يرحم الشهداءـ الأبرارـ، وأن يحضرـهمـ معـ الحـسـينـ وآلـ الحـسـينـ، الذينـ بـذـلـواـ مـهـجـهـمـ دونـ الحـسـينـ عليهـ السـلامـ 18ـ.

1. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 154، الصفحة: 24.
2. b. a. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 133، الصفحة: 20.
3. b. a. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 143، الصفحة: 22.
4. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 110، الصفحة: 64.
5. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 135، الصفحة: 100.
6. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 104، الصفحة: 63.
7. b. a. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 282، الصفحة: 48.
8. القران الكريم: سورة الحج (22)، الآية: 28، الصفحة: 335.
9. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 185، الصفحة: 28.
10. القران الكريم: سورة الرعد (13)، الآية: 9، الصفحة: 250.
11. g. a. b. c. d. e. f. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 69، الصفحة: 89.
12. القران الكريم: سورة الفاتحة (1)، الآية: 6 و 7، الصفحة: 1.
13. القران الكريم: سورة هود (11)، الآية: 112، الصفحة: 234.
14. القران الكريم: سورة يونس (10)، الآية: 35، الصفحة: 213.
15. القران الكريم: سورة المطففين (83)، الآيات: 18 - 21، الصفحة: 588.
16. القران الكريم: سورة التوبة (9)، الآية: 105، الصفحة: 203.
17. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 157، الصفحة: 70.
18. نقلـاـ عنـ المـوـقـعـ الرـسـميـ لـسـماـحةـ السـيـدـ منـيرـ الـخـبـازـ حـفـظـهـ اللـهـ ،ـ الـمـحـاضـرـاتـ الـمـكـتـوـبةـ.